



من عند الله بالمعنى الذي نعهده من النزول ولا علم لنا بغيره. وإذا تأملت ما وصفه الله تعالى في كتابه من أسماء ذاته وصفاته وأفعاله وملأنته وكتبه ورسله والقيامة وما يتعلّق بها وحكم أحكامه وملاكاتهما، وتأملت ما نرومه في تفسيرها من إعمال القرائن العقلية، وجدت أنّ ذلك كلّ من قبيل التفسير بالرأي من غير علم وتحريف لِكلمه عن مواضعه.

من هنا يظهر أنّ التفسير بالرأي كما بيّناه لا يخلو عن القول بغير علم كما يشير النبوي: من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار.

ومن هنا يظهر أيضاً أنّ ذلك يؤدي إلى ظهور التنافي بين الآيات القرآنية من حيث إبطاله الترتيب المعنوي الموجود في مضامينها فيؤدي إلى وقوع الآية في غير موقعها ووضع الكلمة في غير موضعها. ويلزمها تأويل بعض القرآن أو أكثر آياتها بصرفها عن ظاهرها، كما يتأوّل المجبّرة آيات الاختيار، والمفوّضة آيات القدر، وغالب المذاهب في الإسلام لا يخلو عن التأوّل في الآيات القرآنية وهي الآيات التي لا يوافق ظاهرها مذهبهم، فيتشبّهون في ذلك بذيل التأويل استناداً إلى القرينة العقلية وهو قولهم إنّ الظاهر الفلاني قد ثبت خلافه عند العقل فيجب صرف الكلام عنه.

■ الخلاصة

- يعتبر تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي من التفاسير المهمة لكونه يعتمد المنهج الجامع.

- يعتبر السيّد الطباطبائي بأنّ التفسير بالرأي يحتمل وجوهاً متعدّدة، أهمّها ما يلي:

تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله،التفسير المقرّر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تبعاً،التفسير بأنّ مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليل،التفسير بالاستحسان والهوى ومن دون الاستناد إلى نظر في أدلّة العربية ومقاصد الشريعة، وما لا بدّ منه من معرفة الناسخ والمنسوخ وسبب النزول،القول بالقرآن بما يعلم أنّ الحقّ غيره،القول في القرآن بغير علم وثبّت، سواء علم أنّ الحقّ خلافه أم لا.

- عند العلامة ليس المراد بالتفسير بالرأي: النهي عن الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن بل بأن يستقل المفسّر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي، فيقيس كلامه تعالى بكلام الناس، فالتفسير بالرأي لا يخلو عن القول بغير علم كما يشير النبويﷺ: من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار.

ومن هنا يظهر أيضاً أنّ ذلك يؤدي إلى ظهور التنافي بين الآيات القرآنية من حيث إبطاله الترتيب المعنوي الموجود في مضامينها فيؤدي إلى وقوع الآية في غير موقعها ووضع الكلمة في غير موضعها. ويلزمها تأويل بعض القرآن أو أكثر آياتها بصرفها عن ظاهرها.

دراسات في مناهج التفسير، سلسلة المعارف الإسلامية، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

المصدر: شبكة المعارف

المدرّوس، وهنا تبرز أهمية خاصة في مجالات الدرس الحوزوي أنّه لا يزال يدور على متن تكون محوراً للدرس يجمع ثلاث أطراف: الأستاذ، والتلميذ، والزميل.

دوران الدرس والتحصيل العلمي على المتن تنمي عند الباحث جملة من المهارات متقاطعة في ثلاثة حلقات:

الأولى: التفسير والفهم عبر تحليل مضمون المتن.

الثانية: التواصل العلمي الجهود السابقة من الشروح والتعليقات.

الثالثة: الجدل العلمي مع أصحاب الآراء والمقولات في موضوع المتن.

حسيلة هذه الفلسفة التربوية التعليمية طالب علم تنمو فيه نسبة كبيرة من الملكات العلمية، وعقلية باحثة، وروح نقدية عالية، تتسم بالتواضع والشجاعة الأدبية، ومن ثمة حاضرة علمية ولادة للكفاءات بعيدة، تنمو في أجواء من الحرية والإبداع.

المصدر: مجلة الهدى

بل نوع تحدي لما يدرسه. الفيصل في هذا الضلع هو (الدليل)، فالأستاذ دائماً يكون على محك الدليل، ومطلوب منه ألا يفوّت مطلباً بلا دليل، والتلميذ مطلوب منه ألا يجيز الأستاذ بالتجاوز عن مطلب بلا دليل، ومن خلال هذه الجدلية تنمو آفاق الطالب ومهاراته وملكاته.

الضلع الثاني: الزميل، ودوره يوازي المعلم، فهو من يشدّ على يدك بالهمة العالية، ويؤنسك في وحشة طريق العلم، والأهم أن يكون لك (مُباحثاً). والمباحثة نظام حوزوي بامتياز، يفصله الطلبة على ٨ ساعات من المطالعة.

في المباحثة أنت أستاذ على زميلك، وهو أستاذ عليك في اليوم الذي يليه. تنمي المباحثة مهارات البيان، والنقد، والتدقيق، والبحث، فلا يعتبر الطالب قد تعلم الكتاب إلا إذا تباحث فيه (ودرسه، وحشّى عليه). فالعلاقة مع الزميل تكامل معنوي فكري، علاقة فيها المباحثات

الضلع الثالث: المثقّن، أي النصّ

يطلب لوجه الله، لا للرزق ولا للبيع، ولا للشراء، وهذا يعني استقلال طالب العلم عن أيّ قوة يمكن أن تستغل العلم؛ الحبث منها؛ وهي شهوات النفس، أو الطاغوت؛ وهي القوى الاجتماعية. كما ترتكز الفلسفة التربوية على قيمة أن العلم «يهتف بالعمل»، فالعلم يُطلب من أجل التزكية، وأنّ العالم الحقيقي هو العامل بعلمه قبل كل شيء، وأن العلم يزكو بالذيل والعطاء، لا بالاحتكار والمنع، بل إن إخفاء العلم في وقت الحاجة إليه إثم.

أما الفلسفة التعليمية، فهي مثلث من ثلاث أضلاع: الأستاذ، والزميل والمتن:

الضلع الأول: الأستاذ، يلزم البحث عن الأستاذ الجيد المجيد، والتنادم معه ليجود عليك بعلمه وخبرته وتأديبه.

العلاقة العلمية مع الأستاذ مزيج من التواضع والشجاعة الأدبية، التواضع بالتعلم منه، والشجاعة في الإشكال على ما يقول في الدرس،

■ ما أسلوب الحوزة في تربية الطالب علمياً؟

■ ما المنهجية التعليمية؟
■ وما هو نظام الحوزة القادر على هذا التوليد المستمر للعقول؟

ترتكز الفلسفة التربوية في الحوزة على قيم أخلاقية أهمّها أن (العلم) يطلب لوجه الله، لا للرزق ولا للبيع، ولا للشراء، وهذا يعني استقلال طالب العلم عن أيّ قوة يمكن أن تستغل العلم أيد هذا الموضوع بقصة حدثت في آخر لقاء مع البروفسور روبرت غليف بعد أن طلبت من الأستاذ المشرف أن ينصّحني، لا باعتباره مشرفاً، بل كعالم في مجاله، فقال:

«ستعود إلى بلدان الجامعة فيها مؤسسة حقيقية، فالأفضل لك أن ترجع للسباحة في بحرك الطبيعي، العميقة، وهي الحوزة». لم استوعب هذه النصيحة، والنصائح الأخرى إلا بعد عودتي بسنوات!

ترتكز الفلسفة التربوية في الحوزة على قيم أخلاقية أهمّها أن (العلم)



الطباطبائي وموقفه من منهج التفسير بالرأي

القرآن على رأيه ويصرفه عن المراد، فيجرّ شهادة القرآن لتقرير رأيه.

- التفسير بأنّ مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليل.

- التفسير بالاستحسان والهوى ومن دون الاستناد إلى نظر في أدلّة العربية ومقاصد الشريعة، وما لا بدّ منه من معرفة الناسخ والمنسوخ وسبب النزول.

- القول بالقرآن بما يعلم أنّ الحقّ غيره.

- القول في القرآن بغير علم وثبّت، سواء علم أنّ الحقّ خلافه أم لا. ثمّ علّق عليها بقوله: (وربما أمكن إرجاع بعضها إلى بعض، وكيف كان فهي وجوه خالية عن الدليل، على أنّ بعضها ظاهر البطلان).

■ معنى (الرأي) عند الطباطبائي

ثمّ بعد أن استعرض النصوص الدالّة على النهي عن تفسير القرآن بالرأي قال: «قولهﷺ: (من فسّر القرآن برأيه...)، الرأي هو الاعتقاد عن اجتهاد، وربما أطلق على القول عن الهوى والاستحسان، وكيف كان لما ورد قوله برأيه عن الإضافة إلى الضمير، علّم منه أن ليس المراد به النهي عن الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن حتّى يكون بالملزمة أمراً بالاتباع والاختصار على ما ورد من الروايات في تفسير الآيات عن النبيﷺ وأهل بيته على ما يراه أهل الحديث. بل الإضافة في قوله: (برأيه) تفيد معنى الاختصاص والانفراد والاستقلال بأن يستقلّ المفسّر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي، فيقيس كلامه تعالى بكلام الناس، فإنّ قطعة من الكلام من أيّ متكلّم إذا ورد علينا لم نلبث دون أن نعمل فيه القواعد المعمولة في كشف المراد الكلامي ونحكم بذلك: إنّهُ أراد كذا، كما نجري عليه في الأقايرر والشهادات وغيرها، كلّ ذلك لكون بَياننا مبنياً على ما نعلمه من اللغة ونعهده من مصاديق الكلمات حقيقة ومجازاً.

والبيان القرآني غير جار هذا المجرى، بل هو كلام موصول بعضه ببعض في عين أنّه مفصول، ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض كما قاله الإمام علي، فلا يكفي ما يتحصّل من آية واحدة بإعمال القواعد المقرّرة في العلوم المربوطة في انكشاف المعنى المراد منها، دون أن يتعاهد جميع الآيات المناسبة لها ويجهتد في التدبّر فيها كما يظهر من قوله تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا).

■ التفسير المنهجي عنه

فالتفسير بالرأي المنهجي عنه أمر راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف وبعبارة أخرى إنّما نهىﷺ عن تفهّم كلامه تعالى على نحو ما يتفهّم به كلام غيره وإن كان هذا النحو من التفهّم ربما صادف الواقع، والدليل على ذلك قولهﷺ في الرواية الأخرى: (من تكلم في القرآن برأيه فاصاب فقد أخطأ)، فإنّ الحكم بالخطأ مع فرض الإصابة ليس إلاّ لكون الخطأ في الطريق، وكذا قولهﷺ: (إن أصاب لم يؤجر).

وليس اختلاف كلامه تعالى مع كلام غيره في نحو استعمال الألفاظ وسرد الجمل وإعمال الصناعات اللفظية، إنّما هو كلام عربي روعي فيه جميع ما يراعى في كلام عربي، وقد قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) وقال تعالى: (وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) وقال تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) وإنّما الاختلاف من جهة المراد والمصدق الذي ينطبق عليه مفهوم الكلام.

توضيح ذلك: إنّنا من جهة تعلق وجودنا بالطبيعة الجسمانية وقطوننا المعجّل في الدنيا المادية، الفنا من كلّ معنى مصداقه المادي واعتدنا بالأجسام والجسمانيات، فإذا سمعنا كلام واحد من الناس حملناه على ما هو المعهود عندنا من المصدق

■ دراسات في التفسير

يعتبر كتاب الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيّد محمّد حسين الطباطبائيﷺ واحداً من أشهر وأهمّ كتب التفسير في واقعنا المعاصر، ونظراً لشهرته اخترنا هذا التفسير ليكون نموذجاً لبحثنا.

■ تمهيد

يعتبر كتاب الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيّد محمّد حسين الطباطبائيﷺ واحداً من أشهر وأهمّ كتب التفسير في واقعنا المعاصر، ونظراً لشهرته اخترنا هذا التفسير ليكون نموذجاً لبحثنا.

■ حول تفسير الميزان

من تأليف العلامة الحكيم السيّد محمّد حسين الطباطبائيﷺ المولود بتبريز سنة (١٣٢١هـ). والمتوفّى بقم المقدّسة سنة (١٤٠٢هـ).

وهو تفسير جامع حافل بمباحث نظريّة تحليلية ذات صبغة فلسفية في الأغلب، جمع فيه المؤلّف إلى جانب الأنماط التفسيرية السائدة، أموراً ممّا أثارته النهضة الحديثة في التفسير، فقد تصدّى لما يثيره أعداء الإسلام من شبهات، وما يضلّلون به من تشويه للمفاهيم الإسلامية، بروح اجتماعية واعية، على أساس من القرآن الكريم.

■ مزايا تفسير الميزان

١- جمع بين نمطي التفسير: الموضوعي والترتيبي، فقد فسّر القرآن آيةً فآيةً وسورة فسورة، لكنّه إلى جنب ذلك، نراه يجمع الآيات المتناسبة بعضها مع بعض، ليجث عن الموضوع الجامع بينها، كلّما مرّ بأية ذات هدف موضوعي، وكانت لها نظائر منبئة في سائر القرآن.

٢- عنايته التامة بجانب الوحدة الموضوعيّة السائدة في القرآن، كلّ سورة هي ذات هدف أو أهداف معيّنة، هي تشكّل بنيان السورة بالذات، فلا تتمّ السورة إلاّ عند اكتمال الهدف الموضوعي الذي رامته السورة، ولذلك نجد السور تتفاوت في عدد آياتها.

٣- الاستعانة بمنهج «تفسير القرآن بالقرآن»، فقد حقق القرآن هذا الأمر وأوجده بعيان، إذ نراه يعتمد في (تفسيره) على القرآن ذاته، فيرى أنّ غير القرآن غير صالح لتفسير القرآن، بعد أن كان تبياناً لكلّ شيء فيها ثرى كيف يكون القرآن تبياناً لكلّ شيء ولا يكون تبياناً لنفسه؟

يقول العلامة الطباطبائي: (الطريقة المرضيّة في التفسير هي أن تفسّر القرآن بالقرآن، ونشخص المصاديق ونعرّفها بالخواص التي تعطيلها الآيات، كما قال تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) وحاشا القرآن أن يكون تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه) ويمكن القول بحقّ إنّ «الميزان في تفسير القرآن» هو من التفاسير الجامعة لكلّ مناهج وألوان التفسير حيث تجد أنّ السيّد الطباطبائي جمع إلى جانب منهج تفسير القرآن بالقرآن منهج التفسير الروائي والفلسفي والتاريخي والاجتماعي.

■ بيان الطباطبائي لمنهج التفسير بالرأي

ذكر العلماء والمفسّرون آراء متباينة حول مفاد روايات التفسير بالرأي، وستعرض لرأي العلامة الطباطبائي وموقفه من هذا المنهج.

اعتبر السيّد الطباطبائي أنّ التفسير بالرأي يحتمل وجوهاً متعدّدة، أهمّها:

- تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

- التفسير المقرّر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تبعاً، فيردّ إليه بأيّ طريق أمكن وإن كان ضعيفاً. وهذا يحصل فيما لو كان للمفسّر ميل إلى نزعة أو مذهب فيتأوّل